

٣ - التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

أيام الأسبوع

ان فكرة التشاؤم من بعض ايام الاسبوع سائدة عند الامم الغربية ، ويعتقدون بعدم التوفيق ونجاح الاعمال فيه ، فيوم النحاس عند الفرنسيين هو يوم الاربعاء ، وعند الالمان يوم الاثنين ، وعند الانجليز يوم الثلاثاء ، حتى ان عدد الذين يركبون قطار المترو الذي يسر تحت الارض قليل جدا بالنسبة الى عدد الركاب في الايام الاخرى من الاسبوع ، ويعتبر الامير كيون يوم الجمعة من اسوأ ايام الاسبوع ، وبعضهم يعتقد ان اقبح الايام يوم الاربعاء ، وأغرب من هذا ان عالما امريكيا يدين هذه الفكرة ويؤيدها . وأحسن الايام عند الاميركيين هو يوم السبت فتجدهم يقيمون فيه حفلاتهم . وكان المغفور له السلطان حسين كامل يتشام يوم الاربعاء ، ولا يحب أن يقرر فيه قرارا ما . وما يروى عنه في هذا الصدد انه لما أراد أن يعين نفسه طبيا خاصا سأل الأطباء الذين كانوا يتولون معالجته عن اسم الطبيب الذي يشيرون عليه باختياره ، فذكروا له اسم الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية الآن فدعاه الى مقبلة ، وبعد ما حدثه مليا أبلغه أنه يرغب في تعيينه طبيا خاصا له ، ثم صرفه بعد ما طلب منه أن يعود اليه في اليوم التالي ليصدر قرار تعيينه .

ولم يؤجل رحمه الله قرار التعيين الى الغد الا لأن المقابلة كانت يوم الاربعاء فلم يشأ أن يصدر القرار في ذلك اليوم ، وخصوصاً أن القرار كان لأمر متعلق بصحته .

وكان أهالي جزيرة مدغشقر حتى عهد قريب يقتلون الاطفال الذين يولدون في أيام الاسبوع المحسوبة شؤما . وكانوا يرمون جثثهم في البحر تبعثا .

ولم يبين أحد من الباحثين حتى الآن سبب التشاؤم من بعض ايام الاسبوع ، وربما يرجع هذا التشاؤم الى عقائد قديمة عند القدماء ، ثم انحطعت الثقافة بينهم وبين أسلافهم فلا يمكنهم التفسير على وجه سديد .

بعرض القطن وطلبه ، ذلك أن طلب النقود وعرضها ايضا عامل مهم ، فاذا قايمت قطنا بفضة ، وارتفع سعر القطن المقوم بالفضة ، فلا يمكن ان تنسب هذا الارتفاع في الثمن لأسباب تتعلق بالقطن وحده . ذلك أن القطن في هذه الحالة يرتفع بالنسبة للفضة ، وتنخفض الفضة بالنسبة للقطن ، والعرض والطلب كلاهما مهم . وكذا سعر كل سلعة يتأثر بعرض النقود وطلبها . ولا يمكن في الواقع أن يقوم عرض القطن وطلبه بالنقود دون أن نرجع الى قوة النقود في الشراء . وهذه القوة تمثل في كل ثمن وكل مساومة . بيد أن هذه الحقيقة تنسى دائما . فاذا حدث هبوط عام في أسعار الحاجات كما هو حادث منذ أعوام ، فإن الناس لا يفهمون السر في ذلك الا أنه يرجع الى وفرة الإنتاج . ولكن هذا المبوط يرجع في الواقع الى قلة النقود أكثر مما يرجع الى وفرة الإنتاج .

ويقولون ايضا إن مثل هذا الاستقرار في الائتمان لا قيمة له بل هو ضار . والوقائع تثبت غير ذلك ، وفي رأيهم ان الاستقرار الحقيقي لا يمكن الا أن يكون بالنسبة للذهب ، وأنه يجب علينا أن نعود الى معيار الذهب بأسرع ما استطاع ، وهذا وهم . ذلك أننا اذا كنا على عيار الذهب ، فانا نعتبر أن معيار التقديس يجب أن يكون هو الذهب واننا نستعود اليه . ولكن اذا كانت دولة أخرى تتبع معيار الذهب فانا نشكو من اضطراب القطع بين البلدين . وقد كان المستطاع حينما كانت المانيا وروسيا تجوز كل منهما عملية التضخم الكبرى ، ان ينشأ بينهما معيار ثابت للقطع ؛ ولكن ذلك لا يعني ثبات المارك او الروبل ، ولكن معناه انهما قد خفضا معا ، وكذلك لو قام بيننا وبين فرنسا مثلا معيار ثابت للقطع ، وبقينا معا على عيار الذهب ، فليس معنى ذلك أن الدولار او الفرنك ثابتان ؛ ولكن معناه انهما قد ارتفعا معا في الاعوام الاخيرة ، وما نريده هو تثبيت الفرنك والدولار ، او المارك والروبل ، بالنسبة للسلع والاشياء الحقيقية وبالنسبة لقوة الشراء التي تعبر عنها النقود .

لقد اتبعت امريكا سياسة الذهب ، ولكنها تركت معيار الذهب في الائتمان ، فكان من نتيجة ذلك أن وقف هبوط التجارة الامريكية وهبوط الائتمان .

والرئيس روزفلت في ذلك سلطة هائلة ، فهو اذا قرر أن يخفض الدولار الى نصف قيمته الاصلية كما هو محلول له ، فعنى ذلك أن الاربعة بلايين دولار من الذهب التي تملكها امريكا تصبح في الحال ثمانية بلايين اذا أوقفنا شراء الذهب من الخارج .

كسر المرأة

من الخرافات السائدة بين الناس عامة والنساء خاصة التشاؤم من كسر المرأة . والاصل في ذلك أن الانسان القديم كان يحسب أن ظله جزء منه ، وإن ابداء الظل هو ابداء له لأنه بمثابة الروح منه . وكلمة ظن عند بعض الامم في آسيا تسمى الروح . وكان الانسان قبل اختراع المرأة ينظر صورة ظله على اسطح مياه الانهار والبحيرات وغيرها ، وذلك لأن الزجاج لم يكن قد عرف بعد . ومازلنا نرى في « المندل » بعض آثار هذه الخرافات القديمة . فأن هناك اعتقاداً بأن من ينظر في كوب به ماء ثم تتلى عليه الرقى يرى أشياء خفية لا يراها غيره . وأكثر ما يكون الخطر من المرأة في الوقت الذي يكون أحد في المنزل في النزاع الأخير أو قد توفي من وقت قرب لأن الموت عندئذ يرفرف بجانبه على المنزل ، فليست رؤية الظل الروح ، مما تؤمن عاقبه . ولذلك كثيراً ما يقلب الناس مراياهم في ذلك الوقت العصيب . والاصل كما قلنا هو خوف الناس من تعرض ارواحهم اى ظلالهم للأذى أو الموت كما يتوهم المتوحشون القدماء . ان الظل هو الروح

السلم

ما يتشام منه الغربيون المشي تحت أو وراء السلم ، وقد ذكرت مجلة الانجليزية محادثة بين سيدة وصديقتها عن خرافة السلم : السيدة - انا لأمشي تحت سلم مطلقاً لا اعتقد ان ذلك شديد الخطر . صديقتها - انت بلهاء فأني اضع اطراف اصابعي الصغيرة معا واتي الثلاث الآخر في راحة اليد وابسط الابهامين ثم اقول « ماجنوم بونوم » وامشي رابطة الجأش تحت السلم فأذا فعلت مثلي مرت من دون ان يلحق بك اذى .

وقد التفت المس . واليس ، احدى مدرسات لندن محاضرة يوم ١٩ يناير سنة ١٩٢٨ عن منشأ الخرافات السائدة بين الشعب الانجليزي فقالت : إن خرافة السلم يرجع تاريخها الى أزمنة العقاب بلا محاكمة قانونية فكان المحكوم عليهم يشنقون بتعليقهم على سلم اذا لم تكن شجرة في مكان التنفيذ ، وكان كل شخص يتفق وجوده وراء السلم مستهدفاً لخطر الاتهام بالاشتراك مع المشتوق في جرمه .

ابراهيم تادر س بشاى

تعد ذنوبى . . .

يصدق الشطر الأول من بيت أبى العلاء المشهور على الشرق في موقفه اليوم من الغرب . سواء أصدق الشطر الثاني أم لم يصدق ، ولا يسع الشرق في بلاد الغرب إلا أن يتمثل به ما بين آن وآخر . فالشرق كما قال الاستعماري كلنج مازال شرقاً والغرب غرباً وكلاهما جاهل بالآخر ، والغرب أجهل بصاحب . الشرق مخدوع في الغرب يحبه أرق بما هو عليه ، والغرب مزدر للشرق بظنه أحمق مما هو في الواقع .

صورة الشرق في ذهن الانجليزى وإن يكن متعلما صورة خيالية . تحوى أمراء مترفين عاتين ورعايا كادحين مخشوشين . وصحارى وغابات تجيش بغوائل الوحش والانسان . ورجلا أبيض ينشر الخير والبركات ويدل الشرور منافع محتسبا لا يتقن غير وجه المدينة ورضى الانسانية . فان جاء أحد أبناء تلك البلاد يفهم ذلك الواهم أن تلك الصورة القصصية التي ربما انطبقت على بعض نواحي الهند في غابر الأيام لا تنطبق على الشرق اليوم . وأن الشرقيين ليسوا موغلين في الجود والتشبث بالقديم كل ذلك الايمان ، وانما هم فضلا عن عزاة حضارتهم يسعون جهدهم - وقد ظهرت مدينة أوروبا على غيرها من المدن - أن يأخذوا بأساليبها ويسايروا عصرها ، اذا أراد الشرقي أن يشرح ذلك للانجليزى الذي لم يرح بلاده انصرف عنه معرضا . لأنه يراه يفسد عليه صورته المحبوبة التي يأنها ولا يريد فراقها

ومهما أظن الانجليزى في روعة الشرق وثروته ولا لانه وقتته . ومهما ود لوتاح له مشاهدة كل ذلك فإنه يعود - اذا ما تأمل الصورة الموصوفة - إلى نفسه مغتبطا وبحمد الله من صميم قلبه على أن خلقه انجليزيا مسيحياً لا عربيا مسلما ولا هنديا بوديا ، وقد رله أن يقضى حياته في ربوع المدينة لا بين أكناف الصحبة

فلا عجب أن ينظر الانجليزى إلى نزلاء وطنه - ولا أقول ضيوفه - من الشرقيين نظره إلى أطفال كبار جاؤوا ليلقوا في بلاده طرق الحياة وسبل المدينة ، ويتوهم أنهم حين وطئوا أرضه طرخوا عاداتهم وتقاليدهم وأزياءهم المتأخرة جانبا ، واستبدلوا بها الطرق الانجليزية الراقية ، وبدلوا حياة جديدة ، ولا عجب أن يضر لهم كثيرا من الازدراء وغير قليل من الكراهية